

الإجراءات النبوية لبناء وحدة المجتمع الإسلامي



محاور الموضوع

تصدير:

روي عن رسول الله ﷺ قوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبِّكُمْ
وَاحِدٌ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيِّكُمْ وَاحِدٌ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِي
عَلَى عَجَمِي، وَلَا لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِي، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى
أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١)

• قيس من حياة الرسول ﷺ
• سياسة رسول الله ﷺ في بناء المجتمع
الوحدوي
الهدف:
بيان الأسس والإجراءات التي عمل رسول الله ﷺ من خلالها
لبناء وحدة المجتمع الإسلامي

(١) كنز العمال ٢: ٩٣ / ٥٦٥٥

واحدة، وطينة واحدة، قال تعالى: «يَا
أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...»^(٨)
وحتى الاختلاف الشكلي أو الظاهري
الموجود لجهة اللون أو اللغة ونحوها
فهو آية من آيات الله، قال تعالى:

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَلَوَاتُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ»^(٩)

ولهذا يمكن القول إن البعد
الجغرافي القسري الذي تفرضه طبيعة
الأرض، لا يلغي أو يحرف مبدأ التلاقي
الإنساني بين جميع بني البشر، قال
تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ»^(١٠)

٢-الأخلاق: الأخلاق هو العلم
الذي يبيح الكمال في النفس البشرية،
وينمي القوة والاستقلال في العقل
البشري، وهو العلم الذي يساير
الإنسانية في اتجاهاتها، ويوجهها
عند حيرتها، ويأخذ بيد العقل عند
اضطرابه، ويمده بالقوة عند ضعفه،
وفيما يلي بيان خلفيات بعض القيم
والمبادئ الأخلاقية، وهي كثيرة منها:

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^(٢)

رسول الرحمة: قال تعالى: «وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(٣)

الأسوة الحسنة وصاحب الخلق

العظيم: قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»^(٤) وقال

تعالى: «وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»^(٥)

في طاعته النجاح واجتماع

القوة: فقد أمر الله بوجوب طاعته

واحترامه، قال تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ...»^(٦)

سياسة رسول الله ﷺ في بناء
المجتمع الوحدوي:

١-العقيدة: ويراد منها تأسيس

البنية الإيمانية، والعقدية، والفكرية

السليمة، التي تغرس في الإنسان

الإيمان بالله الواحد، والنبى والكتاب

الواحد، والذي ينعكس ممارسة

عقائدية عملية في مختلف المواقف،

وهذا ما تفهمه من حرص النبى ﷺ في

نظرته إلى الإنسانية على تثبيت قواعد

الوحدة بين أفراد الإنسانية جمعاء، فلا

ماثر لا من حيث الأجناس، أو الألوان،

بين أفراد البشرية، فالجميع من نفس

قيس من حياة رسول الله ﷺ:

ولادته وتسميته ﷺ:

تحدثت المصادر التاريخية أن

النبى محمد ﷺ ولد وهو يقول:

«الله أكبر، والحمد لله كثيراً

وسبحان الله بكرة وأصيل»^(١)

وأما عن يوم ميلاده ﷺ فقد ورد

فيه روايتان: الأولى وهي المشهورة

عند الإمامية هو يوم الجمعة ١٧

ربيع الأول، والثانية: أنه ولد ﷺ

في ١٢ ربيع الأول.

واشتهر النبى ﷺ ب: اسمين:

«محمد» و «أحمد» وقد ذكرهما

القرآن الكريم، وروى المؤرخون

أن جدّه عبد المطلب قد سمّاه

«محمدًا»، وأجاب من سأله عن

سبب التسمية قائلاً: أردت أن

يُحمد في السماء والأرض^(٢). كما

أن أمه أمنة سمّته قبل جده ب:

«أحمد».

كيف وصفه الله تعالى في
القرآن الكريم؟

رسول التزكية والتعليم والتربية:

فقد حدّد الله تعالى وظيفته

في القرآن الكريم بقوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(٢) الجمعة، ٢.

(٤) الأنبياء، ١٠٧.

(٥) الأحزاب، ٢.

(٦) القلم، ٤.

(٧) الأنفال، ٤٦.

(٨) النساء، ١.

(٩) الروم، ٢٢.

(١٠) الحجرات، ١٣.

(١) تاريخ البقوي: ج ٢، ص ٨.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٢٨.

٣- مبدأ التآخي الروحي: كان العصر الجاهلي مسرحاً للمآسي والأرزاء، في مختلف مجالاته ونواحيه الفكرية والمادية. وكان من أشنع مآسيه، ذلك التسبب الخُلقي، والفوضى المدمرة والتناحر، والفتك والسلب، والتشذُّق بالثأر والانتقام. فلما أشرق فجر الإسلام، استطاع بمبادئه الخالدة، راح النبي ﷺ يبني ويربي أمة مثالية يحكمها النظام، والأخلاق، والوحدة، والتعاون والمحبة حتى تمكّن من تحقيق مبدأ المؤاخاة بأسلوب لم تحقّقه الشرائع والمبادئ، وأصبحت أواصر العقيدة أقوى من أواصر النسب، ووشائج الإيمان تسمو على وشائج القومية والقبلية، وغدا المسلمون أمة واحدة، مرصوصة الصف، بناءً على القاعدة القرآنية «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، فَأُصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(١).

وأخرى يؤكّد نعمة التآلف والتآخي الإسلامي، بناءً على القاعدة القرآنية «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا»^(٢).

مبدأ المودة والوئام والخدمة: روي عن رسول الله ﷺ: «وَدُ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ شَعْبِ الْإِيمَانِ لَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَأَعْطَى فِي اللَّهِ وَمَنَعَ فِي اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ»^(٣). وحثّ المسلمين على الاهتمام بعضهم بالبعض الآخر، فروي عنه ﷺ قوله: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ وَمَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنَادِي يَا لِمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»^(٤).

ذمّ العصبية ومنعها: العصبية هي مناصرة المرء مذهب أو قومه، أو أسرته... فيما يخالف الشرع، وينافي الحق والعدل. وهي من أخطر النزعات وأفتكها في تسبب المسلمين. ولا ريب أنّ العصبية الذميمة التي نهى الإسلام عنها هي: التناصر على الباطل، والتعاون على الظلم، والتفاخر بالقيم الجاهلية. فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٥).

وعن النبي الأكرم ﷺ قوله: «لَيْسَ مِنْهُ مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنْهُ مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنْهُ مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»^(٦). وفي حديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تَعَصَّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ»^(٧).

أصديق شاهد على واقعية الإسلام: كان سلمان فارسيّاً، بعيداً عن الأحساب العربية، وقد منحه الرسول الأعظم ﷺ وساماً خالداً في الشرف، فقال: «سَلَمَانٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ»^(٨). وما ذلك إلا لسمو إيمانه، وتقانيه في الله ورسوله.

الفقه والنظام الاجتماعي:

قام النبي ﷺ بإعداد الأمة وتربيتها خير إعداد وتربية، ويستند الإعداد النبوي للمجتمع الإنساني بدعوة الأمة إلى - بعد العقيدة الصحيحة - الالتزام العملي بأحكامه الشرعية، وهذا ما يتجلى في النظام الإسلامي (الفقه)، الذي يمثل الجنبه القانونية والنظامية في الشريعة الإسلامية، التي تنظّم حياة الإنسان كفرد، وكجزء من المجتمع في مختلف المجالات، بلا فرق بين

علاقته العبادية بالله تعالى من خلال نظام العبادات، وبين علاقاته الأسرية داخل أسرته، وعلاقته الاجتماعية داخل مجتمعه، أو معاملاته المالية والتجارية والكسبية المختلفة. فبناءً على قواعد الفقه الإسلامي إنّ الحد اللازم لدخول الفرد في دائرة المسلمين ولتحقّق وحدة الأمة المسلمة هو الإقرار بالشهادتين والالتزام بالحد المتفق عليه في الفروع كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد. ولا يوجد مذهب من المذاهب الإسلامية المعروفة ينكر الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد.

وأرست القواعد الفقهية قواعد التعامل والعلاقة بين المسلمين في الزواج والبيع والشراء والقضاء ... دون النظر إلى مذاهبهم التي ينتمون إليها. وأكثر من ذلك فقد حرّم الإسلام بالشهادتين دم المسلم وعرضه وماله فمنع من الاعتداء عليه، روي عن رسول الله ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتَلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا هَذَا مَنَعُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»^(٩). والملاحظ أنّ القرآن الكريم في تعبيره عن أداء حق الغير أو حق الجماعة، تارة يعبر عنه بطلب الإحسان، كما في قوله تعالى: «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»^(١٠)، وتارة أخرى يعبر عنه في صورة أمر آخر كقوله تعالى: «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسِنُ تَأْوِيلًا»^(١١)، وقد يعبر عن ذلك في صورة النهي كقوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(١٢).



(٩) الطوسي، الخلاف، ج ٥، ص ٥٣٦.
(١٠) القصص، ٧٧.
(١١) الإسراء، ٣٥.
(١٢) البقرة، ١٨٨.

(٥) أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٠٨ (باب العصبية).
(٦) سنن أبي داود، ح ٥١٢١.
(٧) أصول الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨.
(٨) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ٨، ص ٢٤٦.

(١) الحجرات: ١٠٠.
(٢) آل عمران: ١٠٢.
(٣) الفيض الكاشاني، الوافي، ج ٤، ص ٤٨١.
(٤) الفيض الكاشاني، الوافي، ج ٥، ص ٥٣٥.